

أن نعممه في تفسيرنا لجميع النصوص الأدبية، بحيث نرجع دائماً في تفسير كلمات الكاتب والشاعر الملتبسة إلى آثاره المختلفة حتى نقف على استخدامه الدقيق لها ومعناها المحدد عنده.

وقد نضج في هذا العصر علم مصطلح الحديث وكل ما يتصل به من نقد المتون والأصول ابتغاء التثبيت من صحتها ونقد الرواة من حَمَلَة الحديث ونقد الرواية، ووضعت لذلك كله ألقاب وموازين دقيقة، على نحو ما يلقانا في كتاب التقريب في مصطلح الحديث للنوويِّ الدمشقي.

وكل من له عناية بدراسة الفقه في مذاهبه الكبرى يعرف أنه لمع حينئذ في كل مذهب أئمة مجتهدون كانوا يفتون الناس في كل أمر من أمورهم، مما يدل دلالة بيّنة على أن فقهاء العصر لم يكونوا مقلدين ولا جامدين، إذ فسحوا للفتوى والاجتهاد بالرأى ما وسعهم الاجتهاد، ويكفى أن نضرب مثلاً بفتاوى ابن تيمية الحنبليِّ الدمشقيِّ فإنه على الرغم من التشدد المعروف به مذهبه نراه يفتح أبواب الاجتهاد على مصاريعها نافذاً إلى كثير من الآراء الحرّة الجريئة.

ومن المحقق أن كتابة التاريخ ومباحثه بلغت في هذا العصر من الرقى ما لم تبلغه في أي عصر سالف، فقد ظهر فيه كثير من المؤرخين العظام واختلفت منازع كتابتهم التاريخية اختلافات شتى، فمنها ما تناول التاريخ العالمي الذي يبدأ يظهر الخليفة حتى هذا العصر، ومنها ما تناول التاريخ العربي الشامل منذ ظهور الإسلام مرتباً على السنوات أو موزعاً على الدول والبلدان أو في داخل بلد أو قطر معين، ومنها ما تناول تاريخ بعض الدول أو بعض السلالات والأسر، ومنها ما اختصّ بسيرة بعض الشخصيات البارزة في السياسة وغير السياسة. وكان للسيرة النبوية الحظ الأوفر من كتابة جديدة تقترن فيها مصادرها القديمة التاريخية بمصادر الحديث الشريف في نصوصها الوثيقة. وكثرت حينئذ كتب التراجم كثرة مفرطة، فمن كتب تترجم للنابيين في العالم العربي على مرّ التاريخ من رجال دولة وقواد وعلماء وأدباء، قد يبلغ بعضها أكثر من ثلاثين سفرًا إلى كتب تعنى بطائفة خاصة من العلماء كالقراء والفقهاء والمفسرين والأطباء، وكتب